الدرس الصوتي العربي من النشأة إلى الاكتمال.

جلول دواجي عبد القادر

جامعة الشلف

تـقديم: لعل خير ما نستهل به هذا المدخل آية عظيمة من كتاب الله وهي قوله تعالى:»ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين»[1] فالآية تدلنا على أن اللغة آية من آيات الله تعالى، ولولاها لما كان التخاطب والتحاور والاتصال والتواصل بين مختلف أجناس البشر.

فاللغة كما يعرفها ابن جني (ت 392هـ) (أما حدها فهي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)[2]، فهذا التعريف يتضمن خصائص ثلاثة للغة وهي:

1- اللغة ظاهرة صوتية:(هي أصوات) فهي الكلام المنطوق (من المتكلم)، المسموع (إلى السامع)، أي أنها نظام من الأصوات متعارف عليه من قبل جماعة معينة، وابن جني في تعريفه يستبعد أن تكون اللغة ظاهرة مكتوبة، فاللغة في جوهرها منطوقة لا مكتوبة.[3]

2- اللغة ظاهرة اجتماعية: (يعبر بها كل قوم) أي أن أي جماعة لا تستطيع أن تحقق التواصل إلا باللغة التي اصطلحوا على تعلمها ومعرفتها، فهي تنشأ من المجتمع وتحيا أو تموت فيه، ومن هنا فالواقع يثبت أن بعض اللغات حافظت على خصوصياتها الأولى كالعربية والعبرية، في المقابل هناك لغات زالت واندثرت وماتت ولم يعد لها ذكر ولا أثر سوى الاسم.

3- اللغة تحقق التواصل: (يعبر بها كل قوم عن أغراضهم) ويوافق هذا القول قول ابن خلدون:(ت 808هـ)»هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني، فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم»[4]

1 – سورة الروم الآية 21.
2 – ابن جني: أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب، القاهرة، 1956، ط1، ج1، ص 33.
3 – محمود فهمي حجازي: المدخل إلى علم اللغة، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، د ط ،1978، ص 10.
4 – ابن خلدون عبد الرحمان: المقدمة، ص 546.

فهي نظام من الألفاظ له دلالة ويعبر عن أفكار الجماعة التي تعارفت على هذا النظام.

ومن هذا التعريف تفهم اللغة بأنها مجموعة من القواعد أو الأنظمة تصف مجموعة لا حد لها من الجمل، كل جملة منها لها معنى يقترن بسلسلة من الأصوات، والجملة تتألف من مجموعة من الكلمات، ومعنى الجملة يتوقف على معاني الكلمات التي منها تتألف، وعلى الطريقة التي بها تتركب وتنتظم.[5]

باختصار: اللغة هي مجموعة من الجمل، والجملة هي مجموعة من الكلمات المنسقة وفق قواعد معينة، والكلمة هي مجموعة من الأصوات، وبتعبير آخر الأصوات مادة الكلمة والكلمة مادة الجملة والجملة هي في الغالب مادة اللغة.[6]

إن أية لغة لا بد وأن تدرس من مستويات خمسة وهي: [7]

1-المستوى الصوتي: phonologie la : فهو يدرس اللغة من زوايا مختلفة فإذا اهتم بتحليل الأصوات الكلامية وصنفها تصنيفا يراعي فيه كيفية إنتاجها وانتقالها واستقبالها، فهذا ما يصطلح عليه بعلم الأصوات العام phonétiques ، وإذا كان يدرس الأصوات من حيث وظيفتها فهو ما يعرف بعلم الأصوات الوظيفي phonologie، وإذا اهتم بدراسة التغيرات الطارئة على الأصوات وإبراز مسارها التاريخي فهو ما يطلق عليه علم الأصوات التاريخي phonétique – sinchronique.

2-المستوى الصرفي: morphologie: أو ما يعرف بمستوى الصيغ اللغوية، أي ما يطرأ على الكلمة من تغيرات سواء في بنيتها أو نوعها أو تصريفها أو اشتقاقها، أي التغيرات التي تعتري صنع الكلمة فتنتج معنى جديدا.

3-المستوى النحوي: syntaxe la: وهو ما يختص بتنظيم الكلمات في الجمل أو المجموعات الكلامية ودراسة تركيبها وفق قواعدها وقوانينها المقررة في اللغة.

4-المستوى الدلالي: sémantique la : ويعني بدراسة معاني الكلمات.

5-المستوى المعجمي: lexicographie la: ويستمد وجوده من علم دراسة تاريخ الكلمات وعلم الدلالة، يضاف إلى ذلك بكيفية نطق الكلمة، ومكان تغيرها وطريقة هجائها وكيفية استعمالها.

5 – محمد حسن عبد العزيز: مصادر البحث اللغوي في الأصوات والصرف والنحو والمعجم وفقه اللغة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1 1430 هـ/2009، ص20.

6 – المرجع نفسه ، ص 20.

7 – لمزيد من الاستزادة ينظر: محمد علي عبد الكريم الرديني: فصول في علم اللغة العام، ص 10و ص 23 وص63.

وفيما يلي تفصيل لجهود سادتنا العلماء العرب في بحث جذور واحد من هذه المستويات، وهو المستوى الصوتي.

المستوى الصوتي: نحو تأسيس الدرس الصوتي عند العرب:

أ- ماهية الصوت: جاء في (موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون) للتهانوي قوله:»الصوت بالفتح وسكون الواو ماهية بديهية لأنه من الكيفيات المحسوسة، وقد اشتبه عند البعض ماهيته بسببه القريب أو البعيد، فقيل الصوت هو تموج الهواء، وقيل هو قلع أو قرع، والحق أن ماهيته ليست ما ذكر بل سبب الصوت القريب التموج، وليس التموج حركة انتقالية من هواء واحد بعينه، بل هو صدم بعد صدم، وسكون بعد سكون، فهو حالة شبيهة بتموج الماء في الحوض إذا ألقي حجر في وسطه، وإنما التموج كان سببا قريبا لأنه متى حصل التموج المذكور حصل الصوت، وإذا انتفى انتفى»[8]

إن هذا التعريف يتفق تماما مع تعريف إبراهيم أنيس حيث يقول:»الصوت ظاهرة طبيعية ندرك أثرها دون أن ندرك كنهها «[9]، أي أن الصوت يسمع ولا يرى، فكل ما تلقته حاسة الأذن يسمى صوتا أيا كان.

ويعرفه الشيخ الرئيس ابن سينا بأنه «تموج الهواء ودفنه بقوة وسرعة بأي سبب كان»[10]

من خلال هذه التعاريف يتبدى أن الصوت هو كل ما يسمع نتيجة احتكاك جسمين عن طريق القلع أو القرع لينتج عن هذا الاحتكاك اهتزازات صوتية تنتقل إلى الأذن عبر ناقل هو الهواء غالبا، ومنها إلى الجهاز الإدراكي في المخ ليعرف طبيعته ومصدره.

ب- أنواعه: إن أي صوت يصدر في العالم الخارجي، وتلتقطه الأذن ينقسم إلى قسمين:عام وخاص.

أ-الصوت العام: هو الصوت الطبيعي، وهو الأثر السمعي الذي ينشأ من اتصال جسم بآخر[11]، أي ما يعرف في الفيزياء بأنه الذبذبات أو الاهتزازات الصادرة من الجسمين الملتقين، وتنتقل خلال الوسط الناقل

8 – التهانوي محمد علي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون، تقديم وإشراف ومراجعة، د .رفيق العجم، تحقيق علي دحروج، نقل النص من الفارسية إلى العربية، د .عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية د .جورج زيناتي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ، لبنان، ط1، 1996م، ج2، ص 1098 وما بعدها.

9 – إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مطبعة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط6، 1981، ص 06.

10 – ابن سنيا أبو علي الحسين بن عبد الله: أسباب حدوث الحروف، تحقيق مهر حسان الطيان ومحي الدين علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ط1، 1983 م، ص56.

11 – هلال عبد الغفار حامد : الصوتيات اللغوية، دراسة تطبيقية على أصوات اللغة العربية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2009، ص 33.

للصوت، كالهواء في شكل موجات متتابعة حتى تصل إلى آذان السامعين، فإذا انعدم هذا الاهتزاز أو تلك الذبذبات انعدم السمع أو فني الصوت[12]

ويدخل في هذا النوع مثلا: التصفيق باليدين أو احتكاك عجلات السيارة أو تمزيق قطع القماش أو الورق أو نشر قطع الخشب، أو طلقات الرصاص والمدافع وصوت القنابل أو الرعد أو أصوات الآلات الموسيقية، أو جريان الماء من أعالي الجبل ....وغيرها.

ب- الصوت الخاص: وهو ما يطلق عليه بالصوت اللغوي أي الصوت الصادر من جهاز النطق الإنساني، وقد حاول الإنسان منذ القدم أن ما يعرف ما حوله في هذا الكون الفسيح واتخذ لذلك عدة وسائل كان أهمها الكلام الذي قوامه الأصوات.[13]

فالله تعالى وهب الإنسان آلة نطق بفضلها يستطيع النطق بعدد لا متناه من الألفاظ والجمل والتعابير عما يجول في خاطره وعقله ووجدانه، وهو بهذه العملية يحقق التواصل والتفاهم مع نظرائه من الجنس البشري عن طريق ما يسمى بالكلام.

فالصوت الإنساني هو ظاهرة مادية تتمثل في نشاط عضوي تقوم به أعضاء النطق، ونشاط طبيعي يحدث في الوسط الذي يفصل المتكلم عن السامع، ويسري فيه الصوت حتى يصل من الأول إلى الثاني، ونشاط ذهني يتمثل في الانطباع الإدراكي أي السماع.[14]

وفي مفهوم دقيق للتهانوي يقول:»اعلم أن ما يخرج من الفم إن لم يشتمل على حرف فهو صوت، وإن اشتمل ولم يفد معنى فهو لفظ، وإن أفاد معنى فهو قول، فإن كان مفردا فكلمة أو مركبا من اثنين ولم يفد نسبة مقصودة فجملة، أو أفاد فكلام»[15].

ج- جهود العرب في بحث الدرس الصوتي:

لقد كانت الغاية من بحث الأصوات عند العرب القدامى دينية بحتة، وهي الحفاظ على النص القرآني من سوء قراءته وتلاوته وتشويهه وتحريفه كما هو الشأن عند الأمم الأخرى[16] ، فالهنود كان لهم كتابهم المقدس

12 – المرجع السابق، ص 33.
13 – هلال عبد الغفار حامد: الصوتيات اللغوية، دراسة تطبيقية على أصوات اللغة العربية، ص 40.
14 – عبد العزيز محمد حسن: مصادر البحث اللغوي في الأصوات والصرف والنحو والمعجم وفقه اللغة، ص 45.
15 – التهانوي محمد علي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون،ج2، ص 1099.
16 للإستزادة أكثر ينظر: أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، دار عالم الكتب، القاهرة، الطبعة السادسة، 1988، ص 57.

وهو «الڤيدا» بلغة مقدسة عندهم هي اللغة السنسكريتية، فعكفوا على بحثه ودراسته من جميع جوانبه اللغوية ومنها الجانب الصوتي، ويعد «ڤانيني» من أول وأكبر اللغويين الهنود في العصر القديمة (ق م)، ونفس الشأن كان عند اليونان الذين لم يكن لهم كتاب يقدسونه مثل الهنود، فاستحبوا واختاروا كتابا هو كتاب «الإلياذة والأوديسة» لهوميروس، لأنه حافل بالقيم وما كان يفعله القدماء من طقوس وعقائد خاصة بالآلهة، فالكتاب يمجد الأبطال والآلهة الذين غامروا وضحوا في سبيل أن تحيا بلاد اليونان، لذا حفظوا هذا الكتاب وحافظوا عليه وعكفوا على دراسته من جميع المناحي، أما اللاتين (الرومان)، فأجمعوا على أن يكون كتابهم المقدس هو «الإنياذة» لـڤرجيل، وراحوا يقومون بدراسته لغاية دينية كما أسلفنا كونه يمجد ويقدس آلهة وأبطال الرومان، وكذلك فعل نظراؤهم السريان والصينيون وغيرهم من الأمم، ولما جاءت حضارة العرب أوجدت لهم وللمسلمين عامة كتابا مقدسا اتخذوه دستور حياتهم فغير جميع مناحي الحياة لديهم وجعلهم سادة وقادة للأمم، هذا الكتاب هو القرآن الكريم فراح العرب يتناقلونه ويتدارسونه ويتعلمون ما غمض عليهم منه، ويتلونه آناء الليل وأطراف النهار، فلما توسعت الرقعة الجغرافية للدولة الإسلامية وتوافد على الدين الجديد أمم لا تتحدث لغة القرآن، وأصاب لسان العرب ما أصابه من اللحن والتحريف والتشويش والتشويه، ومس اللحن حتى كتاب العرب المقدس، بدأ العرب في بحث الدرس الصوتي بالتقعيد والتقنين والتأصيل لحفظ القرآن ولغته.

لقد كان للعرب القدامى جهود مشكورة في الدرس الصوتي تنم عن فهم مبكر دقيق لطبيعة الصوت اللغوي، كما تدل على معرفة تامة بالجهاز النطقي وأعضائه، فقد عكفوا على دراسة أصوات لغتهم وتمكنوا من وصفها وصفا دقيقا ووضعوا القواعد والقوانين لتلك الأصوات وخصائصها وعلاقاتها مع بعضها[17] وتتمثل هذه الجهود في ما يلي:

أ- جهود أبي الأسود الدولي (ت69هـ): الكثير من الباحثين عندما يتطرق إلى محاولات العرب الأولى في بحث الأصوات يستهل حديثه بالخليل بن أحمد، إلا أنه من العدل والقسط أن يكون أبو الأسود الدولي أول من بحث في هذا الميدان الذي لم يكن مبحثا أو علما مستقلا كما استمر عليه الحال فيما بعد، فجهوده في هذا واضحة جلية لا نستطيع إغفالها وإن كان البعض يدرجها في منشأ علم النحو.

إن أبا الأسود الدولي كانت له محاولة لضبط النص القرآني بالشكل، حيث استحضر كاتبه وأمره بأن يتناول المصحف، وأن يأخذ صبغا يخالف لون المداد فيضع نقطة فوق الحرف إذا رآه يفتح شفتيه، وتحت الحرف إذا رآه قد خفض شفتيه، وبين يدي الحرف إذا رآه يضم شفتيه، أما إذا أتبع الحرف الأخير غنة فينقط

17 – محمد علاء جير: المدارس الصوتية عند العرب، النشأة والتطور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2006م، ص 04.

نقطتين فوق بعضهما، أما الحرف الساكن فقد تركه[18]

لقد أمر أبو الأسود كاتبه بملاحظة حركة الشفتين خلال النطق، وهذا ما جعله يأتي بأمر جديد في لغة العرب ألا وهو رسم الحركات الفتحة والضمة والكسرة والتنوين وهذا ما يعرف بالصوائت voyelles les في اللسانيات المعاصرة.

ب- جهود الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ)[19]: قام الخليل بن أحمد الفراهيدي بوضع معجم صوتي، رتب فيه المواد اللغوية وفق الترتيب الصوتي أي وفق مخارج الحروف من أقصى الحلق إلى الشفتين مرورا بالأعضاء الأخرى التي تساهم في إنتاج الأصوات، واستهل معجمه بمقدمة طويلة أوضح فيها منهجه في ترتيب المواد، وسبب تفضيله الترتيب المخرجي على الترتيب الألفبائي الذي وضعه نصر بن عاصم، وتحدث عن حروف العربية التسعة والعشرين التي رتبها على النحو الصوتي الآتي (ع ح هـ خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط د ت ظ ذ ث ر ل ن ف ب م) وهذه هي الحروف الصحاح، أما الألف اللينة والواو والياء والهمزة فهي حروف العلل.

كما قام الخليل ـ بعد عد أصوات اللغة العربية ـ بتوزيع هذه الأصوات على المخارج بادئا بأقصاها مخرجا وهو صوت العين ومنتهيا بالحروف الهوائية وهي الألف والواو والياء والهمزة، وهذا ما سنفصل فيه لاحقا في مبحث منفرد بعنوان «الصفات والمخارج».

ج- جهود سيبويه (ت 188 هـ)[20]: يعد أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسيبويه من العلماء الذين خلدوا لنا مباحث هامة في الدرس الصوتي العربي، والسبب الذي دعاه إلى دراست اللغة العربية وأصواتها بعد ما كان يدرس الآثار والفقه هو أنه كان يستملي على حماد بن سلمة يوما فلحن فكان لحنه سببا في طلبه علم العربية لكي لا يخطئه أحد من بعده، فشرع في طلب النحو، وصنف كتابه الذي لم يسبقه أحد إلى مثله، ولا لحقه أحد أبدا وذكرنا في الصفحات السابقة أن الدرس الصوتي لم يكن معروفا كعلم مستقل مثل علم النحو والفقه والتفسير، وإنما كان هذا العلم في سياق علوم أخرى كعلم التجويد والصرف والنحو واللغة بشكل عام، ومن بينهم سيبويه الذي خصص مبحثا خاصا في كتابه له علاقة بالدرس الصوتي العربي سماه:»هذا باب

18 – عمر أحمد مختار: البحث اللغوي عند العرب، دراسة لفظتي التأثير والتأثر، ص 79و ما بعدها.

19 لمزيد من الاستزادة ينظر عمر أحمد مختار: البحث اللغوي عند العرب، ص 93 وما بعدها، وعبد العزيزمحمد حسين: مصادر البحث اللغوي، ص46.

20 لمزيد من التفاصيل ينظر: محمد حسن عبد العزيز : مصادر البحث اللغوي في الأصوات والصرف والنحو والمعجم وفقه اللغة، ص48،وزبير دراقي: محاضرات في فقه اللغة، ص60،ومحمد علاء جير:المدارس الصوتية عند العرب، النشأة والتطور،ص 23، والحمد غانم قدوري: المدخل إلى علم أصوات اللغة العربية، ص 09

عدد الحروف العربية ومخارجها ومهموسها ومجهورها وأحوال مجهورها ومهموسها واختلافها»[21]

لقد درس سيبويه على علماء البصرة، وكان ملازما أكثر لشيخه الخليل، وأخذ عنه كثيرا، وكان الخليل يقول عنه: »مرحبا بزائر لا يمل»، كما أخذ عن يونس بن حبيب، وعيسى بن عمرو، وأبي زيد الأنصاري، وأبي الخطاب الأخفش الكبير وغيرهم.[22]

يقول سيبويه :»أصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفا، الهمزة والألف والهاء والحاء والغين والسين والظاء والذال والثاء والباء والميم واللام والراء والنون والطاء والدال والتاء والصاد والزاي والخاء والكاف والقاف والضاد والجيم والشين والفاء والواو»[23] وهذه أصول، وتحدث عن ستة أخرى يعتبرها فروعا [24]

بعدها يتحدث عن مخارج الحروف وصفاتها التي سنتحدث عنها في الصفحات التالية، كما أنه عالج بعض المسائل الصوتية قبل ذلك في باب الإمالة والوقف والتقاء الساكنين[25].

د- جهود أبي الفتح عثمان ابن جني (ت 392 هـ): تحدث ابن جني عن حروف اللغة العربية وأصواتها، وذلك في كتابه «سر صناعة الإعراب» وتحدث عن مخارج الحروف ومدارجها.

ويلخص الدكتور أحمد مختار عمر المسائل الصوتية في كتاب ابن جني»سر صناعة الإعراب» كالآتي:

1- عدد حروف الهجاء وترتيبها ووصف مخارجها.

2- بيان الصفات العامة للأصوات وتقسيمها باعتبارات مختلفة.

3- ما يعرض للصوت في بنية الكلمة من تغيير يؤدي إلى الإعلال أو الإبدال أو الإدغام أو النقل أو الحذف.

4- نظرية الفصاحة في اللفظ المفرد ورجوعها إلى تأليفه من أصوات متباعدة المخارج.[26]

وينبه الدكتور أحمد مختار عمر إلى قضيتين هامتين في»سر صناعة الإعراب» وهما:

21 – سيبويه (أبو بشير عمرو بن عثمان بن قنبر): الكتاب، ج4، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ودار الرفاعي بالرياض، ط2، 1402هـ/1982م، ص 431 .

22 – ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج2، ص 228.

23 – سيبويه: الكتاب ج4، ص 431.

24 – المصدر نفسه: ج4، ص432.

25 – عبد العزيز محمد حسن: مصادر البحث اللغوي، ص 49.

26 – عمر أحمد مختار: البحث اللغوي عند العرب، ص 100 وما بعدها.

أ- إن ابن جني أول من استعمل مصطلحا لغويا للدلالة على هذا العلم وهو مصطلح «علم الأصوات ».

ب- إن ابن جني يعتبر الرائد في هذه الدراسة، وكان على حق في قوله في كتابه « وما علمت أن أحدا من أصحابنا خاض في هذا الفن الخوض ولا أشبعه هذا الإشباع»[27]

وتفطن ابن جني أيضا إلى قيمة جهاز النطق في إصدار الأصوات فشبهه بالناي تارة وبوتر العود تارة أخرى لتوضيح عملية إنتاج الكلام وتقسيم أصواته بحسب مخارج النطق إلى صوامت وصوائت.[28]

هـ – جهود إخوان الصفا[29]: لقد أدرك «إخوان الصفا» حقيقة الصوت كمستوى من مستويات دراسة اللغة، فبحثوا في أنواعه ونشأته وخصائصه، ومراحل حدوثه من النطق به إلى سماعه وإدراكه.

يعرف الإخوان الصوت بأنه:»هواء يتقلب بين جسمين متصادمين بعنف فيصك الهواء الراكد في آلة السمع»[30]، ومن المباحث الصوتية التي تحدث الإخوان عنها أنواع الصوت، فهي عندهم متنوعة متعددة إذ يقولون: «الأصوات نوعان: حيوانية وغير حيوانية، والحيوانية أيضا نوعان: طبيعية وآلية، فالطبيعية هي كصوت الحجر والحديد والخشب والرعد والريح وسائر الأجسام التي لا روح فيها من الجمادات، والآلية كصوت الطبل والبوق والزمر والأوتار وما شاكلها، والحيوانية نوعان: منطقية وغير منطقية، فغير المنطقية هي أصوات سائر الحيوان الغير الناطقة، وأما المنطقية فهي أصوات الناس»[31]

وتحدث الإخوان عن نشأة الصوت والمراحل التي يمر بها، والتي تختصر في أربعة مراحل هي:

27 – ابن جني أبو الفتح عثمان: سر صناعة الإعراب، تح حسين هنداوي، دار القلم، دمشق،ط2، 1413هـ/1993م، ص56.

28 – الراجحي عبده: فقه اللغة في الكتب العربية، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ط7، ص 133، وينظر زبير دراقي: محاضرات في فقه اللغة، ص 61.

29 هي جماعة سرية من العلماء المفكرين ظهرت في البصرة في القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) وسمت نفسها باسم (إخوان الصفا، وأهل العدل وأبناء الحمد")،وحول أشخاصها هناك تضارب، فقيل إن من أشخاصها: عبد الله بن المبارك (ت 182 هـ)، عبد الله بن محمد بن إسماعيل (ت 212هـ) وأحمد بن عبد الله (ت229هـ) وعبد الله بن سعيد بن الحسين (ت240 هـ) وغيرهم، وقد ضمنوا أفكارهم في اثنتين وخمسين رسالة، ورسالة جامعة اشتملت على حقائق هذه الرسالة بأسرها، ثم "جامعة الجامحة" أو "زبدة إخوان الصفا" التي تعتبر فهرست الرسائل جميعها وخلاصتها، وهذه الرسائل تضم كل علوم العصر، وتعهدت الجماعة بإخفاء شخوصها خيفة على حياتهم المهددة من ملوك ذلك العصر الدين عاشوا خلاله.
لمزيد من الحقائق عن هذه الجماعة ينظر: الفخراني أبو السعود أحمد: البحث اللغوي عند إخوان الصفا، مطبعة الأمانية، مصر، ط1، 1411هـ/ 1991م، ص10–12.

30 – رسائل إخوان الصفا: دار صادر، بيروت، تحقيق جميل صليب، المجمع العلمي العربي، 1368هـ/ 1949م، د ط، ج2، ص 407.

31 – المصدر نفسه، ج1، ص 188.

1- مرحلة حدوث الصوت وإصداره.

2- مرحلة إنتقاله.

3- مرحلة سماعه.

4- مرحلة إدراكه.[32]

كما تحدث الإخوان كذلك عن الصوت اللغوي ومراحله التي يمر بها أيضا، وتحدثوا عن الصوت الجهير والخفي، والحاد والغليظ، والكبير والصغير، السريع والبطيء.[33]

و- جهود الشيخ الرئيس ابن سينا: (ت 428 هـ): لا نستطيع أن نغفل جهود الشيخ ابن سينا في مجال البحث اللغوي الصوتي، وهذا من خلال رسالته «أسباب حدوث الحروف» وكتابه «الشفا»، وله فيهما مواقف خاصة لا يشركه فيها أحد قبله ولا بعده من العلماء القدماء.

قسم ابن سينا رسالته « أسباب حدوث الحروف» إلى ستة فصول هي[34]*:

الفصل الأول: سماه «سبب حدوث الصوت» حيث ذكر أن الصوت لا يحدث إلا عن قرع أو قلع، ويستعرض الحديث عن قضية الصوت مجيبا عن كثير من التساؤلات في كتابه «الشفاء».

الفصل الثاني: سماه «سبب حدوث الحروف» وفيه يتحدث عن المخارج والمحابس.

الفصل الثالث: خصصه ابن سينا لتشريح الحنجرة واللسان وكثير من الأمور حول هذا الفصل فيها في كتابه « القانون في الطب».

الفصل الرابع: يتحدث عن الحروف العربية ويبين كيفية صدور كل حرف منها ويصف العملية العضوية مع كل حرف وصفا مفصلا، ووصفه هذا ينفرد به وحده دون غيره، ورتب الحروف العربية ترتيبا مخرجيا كما فعل الخليل.

الفصل الخامس: خصصه ابن سينا لحروف سمعها في لغات أخرى غير اللغة العربية، ولكنه لم يذكر من أسماء

32 – للاستزادة أكثر حول ذا المبحث ينظر: الفخراني أبو السعود أحمد: البحث اللغوي عند إخوان الصفا، ص ص 83– 110.
33 – المرجع نفسه ص ص 111– 161.
34* حول ملخص رسالة ابن سينا يراجع، أنيس إبراهيم: الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1992م، ص 13–138، ويراجع عمر أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب، ص 102.

تلك اللغات سوى الفارسية التي هي لغته الأولى والتي كان على علم وثيق بها، ومن بين تلك الحروف: السين الزائية، والزاي السينية، والزاي الظائية، الفاء الشبيهة بالباء، والباء المشددة.

الفصل السادس: خصصه لبعض الأصوات التي تسمع من حركات غير نطقية، كالسين والطاء والتاء.

ومن القضايا المهمة التي توصل إليها ابن سينا من خلال بحثه للظاهرة الصوتية ما يلي:

أ- وجود جسم في حالة تذبذب.

ب- وجود وسط تنتقل فيه الذبذبة الصادرة عن الجسم المتذبذب.

ت- وجود جسم يستقبل هذه الذبذبات.[35]

1- رتب ابن سينا أصوات العربية من الداخل إلى الخارج على النحو التالي:

الهمزة – الهاء – العين – الحاء – الخاء – الغين – القاف – الكاف – الجيم – الشين – الصاد – الزاي – الطاء – التاء – الدال – الثاء – الذال – الظاء – اللام – الراء – الخاء – الباء– الميم – النون – الواو الصامتة – الياء الصامتة – المصوتات: الألف الصغرى والكبرى – الواو الصغرى والكبرى – الياء الصغرى والكبرى.[36]

2- من خلال هذا الترتيب يفرق ابن سينا بين السواكن والعلل، فالتسمية الأولى صوامت والثانية مصوتات.[37]

3- من خلال هذا الترتيب يفرق بين نوعين من الواو والياء، فنوع أدرجه في الصوامت، ونوع أدرجه في المصوتات.[38]

4- فرق ابن سينا بين الحركة القصيرة والطويلة (الصغرى والكبرى).[39]

وخير ما نختم به جهود ابن سينا مقولة إبراهيم أنيس إذ يقول: « إنها (الرسالة) تعالج طرفا من الدراسة الصوتية اللغوية علاجا فريدا يختلف اختلافا بينا عن علاج سيبويه وأمثاله من علماء العربية، فقد

35 – عمر أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب، ص 103.
36 – المرجع نفسه، ص 108.
37 – نفسه، ص 108.
38 – نفسه، ص 109.
39 – نفسه، ص 109.

جاء حديث ابن سينا في رسالته حديث العالم بأسرار الطبيعة حيث أشار إلى كنه الصوت وأسبابه، وحديث الطبيب المشرح حيث وصف أجزاء الحنجرة واللسان، وتميز كلامه بمصطلحات لا نعرف أن غيره من علماء العربية يشركه فيها»[40]

ز – جهود علماء القراءات والتجويد: تعتبر جهود علماء القراءات والتجويد في القرنين الرابع والخامس الهجريين لبنة أساسية من لبنات أصالة الدرس الصوتي عند العرب، ففي هذا العصر استقل الدرس الصوتي بعلم خاص له علاقة بالنص القرآني وكيفية قراءته قراءة سليمة صحيحة يعرف بعلم التجويد، ولا يكاد كتاب من كتب علم التجويد يخلو من الأمور الثلاثة الآتية: أحدهما معرفة مخارج الحروف، والثاني معرفة صفاتها، والثالث معرفة ما يتجدد لها بسبب التركيب من الأحكام، وهي الموضوعات الرئيسية في أصوات العربية قديما وحديثا»[41]

وتعد قصيدة [42]* أبي مزاحم الخاقاني البغدادي(موسى بن عبيد الله ت 325هـ) التي قالها في حسن أداء القرآن أول مصنف في علم التجويد، كما ذكر الجزري في كتابه»غاية النهاية في طبقات القراء»[43]

ومن المؤلفات التي ألفت في هذ العلم والتي ساهمت في تطور الدرس الصوتي عند العرب نذكر على سبيل المثال – لا الحصر – ما يلي:

أ- كتاب الرعاية لتجويد القراء « لأبي محمد مكي القيسي»:[44] ولد مكي أبو محمد بن أبي طاب حموش القيسي بالقيروان سنة (345هـ) وتوفي في قرطبة سنة (437هـ)، وكان كثير الترحال في طلب العلم وكان كثير التأليف إذ بلغت مؤلفاته زهاء التسعين في التفسير وعلوم العربية وعلوم القرآن، ومن أهم كتبه:»الكشف عن وجوه القراءات وعللها» وكتاب « الإبانة عن معاني القرآن» وكتاب «مشكل إعراب القرآن».

يقول مكي أبو محمد القيسي في كتابه «الرعاية لتجويد القرآن»:» ..... قويت نيتي في تأليف هذا

40 – أنيس إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص 136.

41 – الحمد غانم قدوري، المخل إلى أصوات العربية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1325هـ، 2004م، ص 10 وما بعدها.

42* هذه القصيدة مطلعها " أقول مقالا معجبا لا ولي الحجر ... ولا فخر إن الفخر يدعو إلى الكبر. وتتألف من واحد وخمسين بيتا، ينظر أحمد غانم قدوري: المدخل إلى أصوات العربية، ص 15(في هامش الصفحة).

43 – الحمد غانم قدوري، المخل إلى أصوات العربية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1325هـ، 2004م، ص 15.

44 – ينظر ترجمته في: نزهة الألباء في طبقات الأدباء: الأنباري كمال الدين أبو البركات، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، القاهرة، دت، د ط، ص 25 وما بعدها، والأعلام للزركلي، ج7، ص 286.

الكتاب وجمعه في تفسير الحروف ومخارجها، وصفاتها وألقابها، وبيان قويها وضعيفها واتصال بعضها ببعض، ومناسبة بعضها لبعض، ومباينة بعضها لبعض ليكون الوقوف على معرفة ذلك عبرة في لطف الله الكريم وعونا لأهل تلاوة القرآن».[45]

ب- كتاب مخارج الحروف وصفاتها «لابن الطحان (عبد العزيز بن علي بن محمد المقري الاشبيلي)[46]: ولد الرجل باشبيلية سنة (496هـ) ثم رحل إلى فاس ومراكش ثم إلى المشرق، زار البقاع المقدسة للحج ودخل العراق وزار مصر والشام، توفي بحلب سنة (565هـ).

إن كتاب ابن الطحان يعتبر مصنفا مهما في علم التجويد ولطالب القراءة، وهو كتاب وجيز في أربعة فصول، كل فصل منها من بضع صفحات لا تتجاوز العشرة، تحدث في الفصل الأول عن مخارج الحروف، وفي الفصل الثاني عن صفاتها، والثالث عن معاني هذه الصفات، والرابع عن مخارج الحروف التي يراد اختلاس حركاتها تخفيفا، وترتيبه للحروف وتوزيعها على المخارج يوافق ما جاء في كتاب سيبويه إلا أحرفا قليلة، كما أن تعريفاته للصفات لا تخرج عما قاله فكأنه ملخص له.[47]

ت- «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري(الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي)[48]: ولد الشيخ بدمشق سنة (751هـ) تعلم بها ثم رحل إلى القاهرة، كان رحالة كثير الرحلات، ثم استقر به المقام بشيزار، حيث تولى فيها القضاء ومات بها سنة (833هـ) له تآليف كثيرة منها، «تحبير التيسير في القراءات» وكتاب «طيبات النشر في القراءات العشر» وهي منظومة من ألف بيت، وكتاب «منجد المقرئين» وكتاب «غاية النهاية في طبقات القراء».

يتخذ ابن الجزري في كتابه «النشر» عن القرآن ورسمه ونزوله وجمعه وأشهر القراء والقراءات الشاذة، كما يتحدث عن «مخارج الحروف» و» صفات الحروف» كما عرف أيضا بعلم التجويد بأنه إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها ومراتبها، ورد الحرف إلى مخرجه وأصله، وإلحاقه بنظيره، وتصحيح لفظه، وتلطيف النطق به على حال صيغته وكمال هيئته من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف.[49]

45 – مكي أبو طالب القيسي، الرعاية في تجويد القرآن، تحقيق أحمد حسن فرحات، دار عمار، الأردن، 1984، ص 50 وما بعدها.

46 – ينظر ترجمته في: غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، مكتبة الخانجي، مصر، 1933، ج1، ص 395، والأعلام للزركلي، ج4، ص 22.

47 – عبد العزيز محمد حسن، مصادر البحث اللغوي في الأصوات والصرف والنحو والمعجم وفقه اللغة، مع نماذج شارحة، ص 55.

48 – الزركلي خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، 1980، ط5، ج1، ص 227.

49 – ابن الجزري: (أبو الخير محمد بن محمد): النشر في القراءات العشر، تصحيح علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية،

وهناك مِلفات أخرى تتنوع طولا وقصرا، نظما ونثرا توالت وتتالت بعد القرنيف الرابع والخامس الهجريين، وهي تعد ثروة ومصدرا غنيا وأصيلا للدراسات الصوتية العربية منها[50]:

- التحديد في الإتقان والتجويد لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني(ت 444هـ).
- الموضح في التجويد لعبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب القرطبي (ت461هـ).
- نهاية الإتقان في تجويد القرآن لشريح بن محمد الرعيني(ت 539هـ).
- التجريد في علم التجويد لسهل بن محمد الحاجي(ت 543هـ).
- التمهيد في معرفة التجويد لأبي العلاء الحسن بن أحمد العطار الهمذاني(ت569هـ).

نقول: إن الفضل يعود إلى هؤلاء العلماء ـ علماء القراءة والتجويد ـ في تطور الدرس الصوتي العربي، فبإسهاماتهم ومؤلفاتهم كانوا قد حافظوا على النص القرآني قراءة وأداء وتلاوة، وبالتالي فهو حفاظ على حياة اللغة العربية وحروفها وأصواتها وتراكيبها من اللحن والتزييف.

ث- الجهاز الصوتي الإنساني: على دارس الأصوات أن يعرف أعضاء النطق التي تساهم في إنتاج الأصوات، من حيث تكوينها، ومن حيث كيفية استعمالها في تكوين الأصوات الكلامية أي من حيث وظائفها، ولهذا عكف العلماء العرب القدامى على معرفة هذا الجهاز المصدر للأصوات معرفة تكاد تكون دقيقة لما توصل إليه العلم الحديث وبخاصة علم التشريح، فلو أتيح لأولئك الأفذاذ ما أتيح لنا في عصر التقنية والآلة والمجهر وآلات التصوير لأرونا عجبا في هذا المجال، ورغم ذلك تكاد نتائجهم تتطابق تتفق مع ما جاء به علماء الأصوات المحدثون إلا في بعض الاختلافات البسيطة.

لقد أطلق العلماء القدامى على جهاز النطق عدة تسميات منها: الآلة والمدرج والممر والمذهب، وأما المحدثون فاصطلحوا عليه بتسميات منها جهاز النطق أو الجهاز النطقي أو جهاز التصويت أو الجهاز الصوتي أو جهاز الكلام أو أعضاء النطق أو الأعضاء الصوتية.[51]

فالجهاز الصوتي عند الإنسان هو نفسه عند جميع البشر، أي هو واحد أو نفسه عند الآدميين، لكنه في الاستعمال متنوع إلى ما لا نهاية لارتباطه بالفرد المتكلم أكثر من ارتباطه بالنظام الصوتي الذي لا يتعدى

بيروت، لبنان، ج1، دت، ص 212.

50 – الحمد غانم قدوري: المدخل إلى علم أصوات العربية، ص 16.

51 – المرجع نفسه، ص 132، وما بعدها. دراقي زبير: محاضرات في فقه اللغة، ص 62.

ثلاثين حرفا في معظم اللغات، وكل متكلم يدخل فيه بحسب سنه وجنسه وحجمه ألوانا كثيرة من الإبداع والتنويع»[52][53]

لقد وعى علماء العرب القدامى حقيقة هذا الجهاز الذي حبا الله به الإنسان، وجعل فيه المرونة والليونة لإحداث عدد لا يحصى من الأصوات التي تحقق التواصل والتفاهم بين بني البشر، ويتألف هذا الجهاز من عدة أعضاء تساهم كلها في إنتاج الأصوات سنحاول تعدادها بين ما ذكره القدامى وما توصل إليه المحدثون، وهي كالآتي من الداخل إلى الخارج[54]:

أ- الرئتان: الرئة جسم مطاطي قابل للتمدد والانكماش، وتؤدي الرئتان وظيفة مهمة في الكلام وهي دفع الهواء وجذبه، والهواء هو مصدر القوة في عملية الكلام، ويحدث الكلام في عملية الزفير[55]، وبدون الرئتين لا يتم التنفس ولا الكلام.

ب- القصبة الهوائية: وسماها العرب بالقصبة الرئوية، لاتصالها بالرئتين أو قصبة الحلق وهي عبارة عن أنبوبة من الغضاريف على شكل حلقات غير مكتملة من الحلق أو غير كاملة الاستدارة، ويتصل بعضها بواسطة نسيج غشائي مخاطي[56]، وتتفرع القصبة الهوائية من جزئها الأسفل إلى شعبتين: كل شعبة ترتبط برئة وتنتهي من الأعلى بالحنجرة، وتكون للصوت بمثابة فراغ رنان، ولا سيما إذا كان الصوت عميقا، وغضاريفها صلبة من الأمام ومن الداخل.[57]

ت- الحنجرة: هي تجويف غضروفي صغير مكون من عدد من الغضاريف التي تضم في داخلها الوترين الصوتيين، ويمكن تحسس الحنجرة عند النتوء البارز في وسط الرقبة[58]، ويختلف حجمها عند الكبار والصغار، وعند الذكور والإناث، فهي عند الكبار أكبر من الصغار، وهي عند الذكور أكبر من الإناث، وتتكون الحنجرة من عدة غضاريف منها: الغضروف الدرقي والغضروف الحلقي، والغضروفان الهرميان،

52

53

54 للاستزادة أكثر حول هذا الموضوع يراجع: أنيس إبراهيم: الأصوات اللغوية، ص 16، هلال عبد الغفار حامد :الصوتيات اللغوية، ص 51، الرديني محمد علي عبد الكريم: فصول في علم اللغة العام، ص 131، دراقي زبير: محاضرات في فقه اللغة ص 62، حركات مصطفى: الصوتيات والفونولوجيا، ص 46، عكاشة محمود : أصوات اللغة، ص 23، محمد علاء جبر: المدارس الصوتية عند العرب، النشأة والتطور، ص 98، الصالح صبحي: دراسات في فقه اللغة، ص 276، الحمد غانم قدوري: المدخل إلى علم أصوات العربية، ص 48.

55 – أيوب عبد الرحمان: أصوات اللغة، مطبعة الكيلاني، ط1، 1968، ص 40.

56 – هلال عبد الغفار حامد : الصوتيات اللغوية، ص 55

57 – .الرديني محمد علي عبد الكريم، فصول في علم اللغة العام، ص 134.

58 – الحمد غانم قدوري: المخل إلى علم أصوات العربية، ص 50.

والغضروفان المخروطيان والغضروفان القرنيان، ومن أجزائها أيضا لسان المزمار والأوتار الصوتية[59].

ث- البلعوم: والبعض يطلق عليه الحلق وبعضهم يطلق عليه مؤخرالفم، ويقصد به الفراغ الواقع بين الحنجرة وأقصى اللسان، ويقسمه علماء العربية والتجويد إلى ثلاثة أقسام: أقصاه ووسطه وأدناه،[60] ومن الحلق تخرج الأصوات التي جمعها الشاعر في قوله:

همز فهاء ثم عين حاء ..... مهملتان ثم غين خاء.[61]

ج- تجويف الفم: يضم تجويف الفم أكثر أعضاء آلة النطق، فهو يبدأ من نهاية تجويف الحلق العليا عند مؤخرة اللسان المقابلة للهاة وينتهي بالشفتين، ويتكون هذا التجويف من:

1- شقف الفم أو الحنك الأعلى: ويبدأ باللثة وهي اللحم الذي فيه منبت الأسنان ثم يلي اللثة جزء محزز ثم يأخذ بالتقعر ويزول التحزز منه، وهو جزء عظمي صلب مبطن بنسيج لحمي لين، يسميه بعض الدارسين بمنظمة الغار، أما اللهاة فهي لحمة مسترخية في آخر سقف الفم تقابل أقصى اللسان.[62]

2- اللسان: هو أهم أعضاء النطق، وعليه المعول في إبراز كثير من الأصوات، ولولا اللسان لم يكن إخراج الأصوات وسلامتها، ويقوم اللسان بالمشاركة في إنتاج الأصوات بحركته الكثيرة في الفم، وعند عدم الكلام يستقر في قاع الفم[63]، ويقسم دارسو الأصوات اللسان إلى عدة أقسام لتسهيل تحديد مخارج الأصوات، وكان سيبويه قد استخدم: طرف اللسان ووسطه وأقصاه وحافته وهي جانبه، وهي مصطلحات لا تزال صالحة للاستخدام في التراث الصوتي العربي[64].

3- الأسنان: الأسنان موضعها الفم مصفوفة في الفكين العلوي والسفلي[65]، ولها وظيفة أساسية من الناحية الصوتية، ويمكن إدراك أهميتها عندما نسمع كلام إنسان فقد بعض أسنانه، إذ نلاحظ أن الأصوات تخرج من فمه مشوهة ....وعدد الأسنان اثنتان وثلاثون موزعة على الوضع التالي:

59 – للتفصيل في هذا الموضوع يراجع: الحمد غانم قدوري، المدخل إلى علم أصوات العربية، ص 50، وعكاشة محمود، أصوات اللغة، ص 25.
60 – الرديني محمد علي عبد الكريم: فصول في علم اللغة العام، ص 136.
61 – هلال عبد الغفار حامد: الصوتيات اللغوية، ص 62.
62 – الحمد غانم قدوري: المدخل إلى علم أصوات العربية، ص 57.
63 – هلال عبد الغفار حامد: الصوتيات اللغوية، دراسة تطبيقية على أصوات اللغة العربية، ص 68.
64 – الحمد غانم قدوري: المدخل إلى علم أصوات العربية، ص 57، وما بعدها.
65 – عكاشة محمود: أصوات اللغة، ص 45.

1. الثنايا: (أربعة، في كل فك اثنتان)، تقع في الجزء الأمامي من الفم من أعلى وأسفل.

2. الرباعيات: وهي أربع، اثنتان في كل فك، وتلي الثنايا من الجانبين.

3. الأنياب: وهي أربع، تلي الرباعيات علوا أو سفلا.

4. الأضراس: وهي عشرون، منها الضواحك، وهي التي تبدو عند الضحك، ومنها الطواحن ومهمتها طحن الطعام أو مضغه، ومنها النواجذ، وهي ما نسميها بالعامية ضروس العقل.[66]

وبعض الدارسين في علم الأصوات يوزعها على أربع مجموعات هي:

– القواطع: وهي ثمانية، أربعة في كل فك، ومن هذه القواطع أربع تسمى ثنايا، ثنتان في كل فك، وتلي الثنايا أربع من كل جانب واحدة تسمى الرباعيات.

– الأنياب: وهي أربعة أسنان حادة مدببة أطول من سابقتها (القواطع)، اثنتان في كل فك.

– الأضراس الأمامية: وهي ثماني أسنان عريضة، منها أربعة في كل فك، والضرس التي تلي الناب تسمى ضاحكة.

– الأضراس الخلفية: وهي اثنتا عشرة سنا، عريضة وغليظة.[67]

4- الشفتان: عضوان متحركان يلعبان دورا هاما في النطق، ودور الشفة السفلى أهم من العليا[68]، فهما تنفرجان حينا وتستديران أو تنطبقان حينا آخر، وهكذا نلحظ تغييرا في شكل الشفتين أثناء النطق، وتختلف عادات المتكلمين في استغلال حركة الشفتين والانتفاع بها، (كثرة حركة الشفتين عند الشعوب أو الاقتصاد مثل العرب)[69].

ح- تجويف الأنف: هو منطقة الفراغ الذي تقع في الرأس فوق البلعوم الأنفي، وتفصلها عنه فتحتان بيضاويتان يفصل بينهما حاجز رأسي يشبه الفاصل الموجود بين فتحي الأنف، وتسمى هاتان الفتحتان

66 – هلال عبد الغفار حامد: الصوتيات اللغوية، دراسة تطبيقية على أصوات اللغة العربية، ص 65 وما بعدها.
67 – يراجع عكاشة محمود: أصوات اللغة، ص 45 وما بعدها وبشر كمال: الأصوات العربية، دار المعارف، مصر، 1980م، ص 70، أيوب عبد الرحمن: أصوات اللغة، ص 58.
68 – حركات مصطفى: الصوتيات والفونولوجيا، ص 49.
69 – أنيس إبراهيم: الأصوات اللغوية، ص 18 وما بعدها.

الخيشومين الخلفيين، ويصلان البلعوم الأنفي بالفراغات الأنفية[70]، أما في مجال إنتاج الأصوات فإن التجويف الأنفي يشترك في إنتاج أصوات الغنة.[71]

وقد تنبه علماء اللغة القدامى وبالخصوص علماء القراءات والتجويد إلى دور التجويف الأنفي في إنتاج الأصوات، ومن هؤلاء العلماء سيبويه في «كتابه»، ومكي بن أبي طالب القيسي في كتابه «الرعاية» وأبو عمرو الداني في كتابه «التحديد»[72].

إن الجهاز الصوتي بأعضائه هذه، سواء أكانت صغيرة أو كبيرة، عضلية أو عظمية، متحركة أو ثابتة تساهم بالقليل أو بالكثير في إنتاج الأصوات، وهذه الأعضاء متكاملة متلازمة بحيث إذا تعطل عضو منها اختل الكلام وصدر الصوت مشوها واستحال الاتصال والتفاهم والتواصل.

هـ- مخارج الأصوات: المخرج لغة جاء في لسان العرب: «الخروج نقيض الدخول والمخرج موضع الخروج»[73]، واصطلاحا هو «موضع خروج الحروف، أو عبارة عن الحيز المولد للحرف»[74] أو بمعنى آخر هو»نقطة اعتراض مجرى الهواء من أجل النطق بالصوت، وهو أكثر المصطلحات في التراث اللغوي العربي وصفا لنقطة النطق»[75]

لقد اختلف العلماء العرب القدامى والمحدثون في إحصاء مخارج أصوات اللغة العربية بصوامتها وصوائتها، بل الاختلاف نجده عند المحدثين أنفسهم.

فالخليل في كتابه «العين» ذكر عدد المخارج سبعة عشر[76]، وأما سيبويه فذكر بأنها ستة عشر مخرجا[77]، ووافقه ابن جني على ذلك فقال:»اعلم أن عدد مخارج الحروف ستة عشر»[78]، أما قطرب والجرمي والفراء ذهبوا إلى أن عددها أربعة عشر مخرجا[79]، وكان هذا التقسيم نبراسا للمتأخرين من العلماء ولا سيما المحدثين الذين لم يكادوا يزيدون عليه شيئا ذا بال، فقد استمدوا منه تقسيمهم للأصوات مجموعات

70 – عكاشة محمود: أصوات اللغة، ص 40 وما بعدها.
71 – الحمد غانم قدوري: المدخل إلى علم أصوات العربية، ص 59.
72 – يراجع أقوال هؤلاء العلماء في كتاب»الحمد غانم قدوري» المدخل إلى علم أصوات العربية، ص 59 وما بعدها.
٧٣ – ابن منظور (محمد بن مكرم بم منظور الإفريقي) لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان،ط1، ج2، ص 249 مادي «خرج»
74 – المرصفي عبد الفتاح السيد العجمي: هداية القاري إلى تجويد كلام البارئ، دار الفجر الإسلامية، المدينة المنورة، ط1، 2001، ص 61.
75 – حجازي محمود فهمي: مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص 47.
76 – الفراهيدي الخليل بن أحمد : العين، ص 64 وما وبعدها.
77 – سيبويه: الكتاب: ج2، ص 405.
78 – ابن جني: سر صناعة الإعراب،ج1،ص 52.
79 – انظر في تفصيل الخلاف: محمد مكي، نهاية القول في علم التجويد، ص 31.

متشابهة تكاد لا تخرج عما ذكره ابن جني وسيبويه[80] مثلما فعل إبراهيم أنيس[81] وكمال بشر[82].

وليس من شأننا هنا أن نخوض في هذه الموازنة بين القدماء والمحدثين، فهذا سيكلفنا وقتا طويلا، وهذا لوحده يحتاج إلى دراسة مستقلة، ومع ذلك سنحاول أن نوفق بين جهود هؤلاء وأولئك في شيء من التركيز والاختصار.

والوسيلة التي حددها العرب لمعرفة مخرج الحرف هي أن تأتي بهمزة قلبه ثم ننطق به ساكنا أو مشددا، فحيث ينقطع الصوت فثم مخرج الحرف[83]، ومخارج الحروف العربية هي[84]:

1- الأحرف الجوفية الهوائية: وهي أحرف المد الثلاثة التي تسمى أحرف اللين، ويراد بالجوف الذي تنسب إليه فراغ الحلق والفم حيث ينقطع مخرجها، وسميت هوائية لأنها تنتهي بانقطاع هواء الفم.

2- الأحرف الحلقية: وهي الهمزة والهاء والعين والخاء والغين والخاء، وللحلق ثلاثة مخارج، الهمزة والهاء من أقصى الحلق مما يلي السين والعين والحاء لوسطه مما يلي الصدر، والغين والخاء لأدناه مما يلي الفم.

3- الأحرف اللهوية: وهما القاف والكاف.

4- الأحرف الشجرية: وهي: الجيم والشين والياء غير المدية، وشجر الفم هو ما بين وسط اللسان وما يقابله من الحنك الأعلى.

5- الأحرف الذلقية: وهي: اللام والنون المظهرة والراء، وذلق اللسان طرفه.

6- الأحرف النطعية: وهي ثلاثة: الطاء والدال والتاء، والنطع هو سقف غار الحنك الأعلى.

7- الأحرف الأسلية: وهي ثلاثة: الصاد والسين والزاي، والأسلة هي ما دق من اللسان وتسمى صفيرية أيضا.

8- الأحرف اللثوية: وهي ثلاثة: الظاء والذال والثاء، وتسمى لثوية لخروجها من اللثة.

9- الأحرف الشفوية أو الشفهية: وهي أربعة: الفاء والباء والميم والواو غير المدية.

80 – هلال عبد الغفار حامد: الصوتيات اللغوية، ص 169.
81 – أنيس إبراهيم: الأصوات اللغوية، ص 44.
82 – بشر كمال: علم اللغة، القسم الثاني(الأصوات)، 1970، ص ص 113 – 121.
83 – وافي علي عبد الواحد: فقه اللغة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، 1972، ص 166 وما بعدها.
84 للاستزادة أكثر يراجع: وافي علي عبد الواحد: فقه اللغة،ة ص 165، صالح صبحي، دراسات في فقه اللغة، ص 278، والحمد غانم قدوري: المدخل إلى علم أصوات العربية، ص 95، أنيس إبراهيم: الأصوات اللغوية، ص 44.

10- الأحرف الخيشومية: وهي النون الساكنة، والتنوين حين إدغامها بغنة أو إخفائها، والنون والميم المشددتان.

و- صفات الحروف: الصفة من الوصف وهو مصدر، والصفة الحلية والوصف وصفك الشيء بحليته ونعته[85]، واصطلاحا هي كيفية عارضة للحرف عند حصوله في المخرج، وتتميز بذلك الحروف المتحدة بعضها عن بعض[86].

إن مبحث الصفات هو من المباحث المكملة لمبحث المخارج، فهما مبحثان يحددان هوية الصوت الفيزيولوجية والفيزيائية، ولأجل هذا عنى علماء العربية قديما وحديثا بصفات الأصوات، ويعد سيبويه أول من تطرق بالدرس لصفات الحروف العربية في مؤلفه «الكتاب»، وإن كان الخليل بن أحمد الفراهيدي قد استخدم بعض المصطلحات المعبرة عن صفات صوتية، ولكن أكثر هذه المصطلحات اندثرت، ولم يتسرب منها إلى كتب علماء العربية وكتب التجويد إلا القليل، من ذلك:

حروف الذلاقة والصتم، حروف الطلاقة (الطلق) والضخامة، الصلابة والخفوت»الحروف الصحاح» وحروف العلل (المعتلة)، صفة الهت، الهشاشة والليـن.[87]

وهذه الصفات التي ذكرها الخليل لم يذكرها سيبويه في «كتابه» فهو اتجه اتجاها آخر في دراسة الصفات أكثر شمولا وأوضح تعبيرا وأبعد أثرا في الدرس الصوتي، فذكر من الصفات: الجهر والهمس، الشديد والرخو بين الشدة والرخاوة، والانحراف، والغنة، والتكرار، واللين، والحرف الهاوي، والإطباق، والانفتاح.....[88] أي عددها سبع عشرة صفة.

وصارت هذه الصفات فيما بعد مجال بحث الدارسين في العربية والقراءة والتجويد، ولم يشذ منها إلا القليل[89]، تكللت جهود هؤلاء العلماء بتقسيم صفات الحروف إلى قسمين:

85 – ابن منظور، لسان العرب، ج9، مادة (وصف)، ص 356.

86 – نصر محمد مكي: نهاية القول المفيد في علم التجويد، مراجعة الشيخ علي محمد الضباع، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1349هـ) ص 43.

87 – للاستزادة أكثر يراجع: الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين، ج1، ص ص 52 – 59.

88 – سيبويه: أبو عمر بن عثمان الكتاب، ج4، ص ص 434- 436.

89- من علماء العربية نذكر المبرد في كتابه «المقتضب» وابن السراج في كتابه «الأصول في النحو»، وابن جني (أبو الفتح عثمان في كتابه «سر صناعة الإعراب»، ومن علماء التجويد نذكر: الداني (أبو عمرو عثمان بن سعيد) في كتابه «التحديد في الإتقان والتجويد»، والقرطبي عبد الوهاب بن محمد في كتابه «الموضح في التجويد»، والعطار (أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني) في كتابه «التمهيد في معرفة التجويد» وابن الجزري (أبو الخير محمد بن محمد) في كتابه»النشر في القراءات العشر»، وأما مكي بن أبي طالب القيسي في كتابه «الرعاية تجويد القراءة» فذكر أربعا وأربعين لقبا لصفات الحروف.

صفات عامة وصفات خاصة أو الصفات الزوجية والأحادية أو الصفات التي لها أضداد والتي لا أضداد لها أو الصفات المميزة والمحسنة وهي واحدة وإن تغيرت المسميات.

أولا: الصفات العامة (الزوجية) (المميزة):

1- الجهر والهمس: يعرف الصوت المجهور بأنه الصوت الذي يتذبذب الوتران الصوتيان عند النطق به، ويسمى الصوت الذي لا يتذبذب الوتران عند النطق به مهموسا.[90]

والأصوات العربية المهموسة عشرة مجموعة في قولك: (سكت فحثه شخص) والأصوات المجهورة ما عداها وهي تسعة عشر صوتا.[91]

2- الشدة والرخاوة: الشدة تمام انحصار الصوت عند إسكانه، والرخاوة هي جريه عند إسكانه، والتوسط هو منزلة بين تمام الانحصار وتمام الجري، وحروف الشدة ثمانية يجمعها قولك (أجدك قطبت)، وحروف التوسط ثمانية كذلك، يجمعها قولك (لم يروعنا)، وحروف الرخاوة ما عدا ذلك.[92]

3- الإطباق والانفتاح: الإطباق هو انحصار صوت الحرف بين اللسان والحنك الأعلى لارتفاع ظهر اللسان إلى الحنك الأعلى حيث يلتصق، والانفتاح هو جريان النفس لانفراج ظهر اللسان عند النطق بالحرف وعدم إطباقه على الحنك الأعلى، وحروف الإطباق أربعة وهي (ص ض ط ظ)، والبقية هي حروف منفتحة[93]

4- الاستعلاء والاستفال: الاستعلاء هو ارتفاع مؤخرة اللسان إلى أعلى الحنك عند النطق بالحرف.[94] وعكسه الاستفال وهو عدم ارتفاع اللسان إلى أعلى الحنك، والحروف المستعلية هي (خ ص ض ط ظ غ ق)، ما عدا هذه الحروف فهي مستفلة.[95]

5- الذلاقة والإصمات: صفتان خاصتان بالصوامت فقط، فالذلاقة هي طلاقة اللسان وخفته، والصمت ضده[96]،

90 – الحمد غانم قدوري: المدخل إلى علم أصوات اللغة العربية، ص 101 وما بعدها.
91 – وافي علي عبد الواحد: فقه اللغة، ص 167.
92 – المرجع نفسه، ص 167.
93 – صالح صبحي: دراسات في فقه اللغة، ص 282، ووافي على عبد الواحد، فقه اللغة، ص 167.
94 – ابن جني: أبو الفتح عثمان: سر صناعة الإعراب، ج1، ص 71.
95 – صالح صبحي: دراسات في فقه اللغة ص 282، ووافي علي عبد الواحد: فقه اللغة، ص 168.
96 – وافي علي عبد الواحد: فقه اللغة، ص 168.

والحروف المذلقة ستة تجمعها عبارة (مر بنفل)، وحروف الصمت هي ما عدا ذلك،[97] (أي من الحروف الصامتة لا الصائتة).

6- التفخيم والترقيق: التفخيم أو التجليد أو التسمين هو تعظيم الحرف في النطق حتى يمتلئ الفم بصداه، والترقيق جعل جسم الحرف نحيلا فلا يمتلئ الفم بصداه، والحروف المفخمة هي حروف الإطباق (ص ض ط ظ) مضافا إليها (ف خ غ) وتسمى الحروف المتبقية حروفا مرققة[98].

ثانيا: الصفات الأحادية: (الخاصة، الفردية، المحسنة): هي تلك الصفات التي ليس لها مقابل ولا ضد، وهي كثيرة منها:

1- الانحراف: هي صفة استخدامها سيبويه لحرف اللام حين يقول:»ومنها المنحرف، وهو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت،و لم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة، وهو اللام»[99]

2- التكرار: (التكرير): وهو ارتعاد طرف اللسان بالراء[100]، ويحصل ذلك بأن طرف اللسان يطرق اللثة طرقا لينا يسيرا مرتين أو ثلاثا[101]، يقول سيبويه:»ومنها المكرر، وهو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام فتجافى للصوت كالرخوة، ولو لم يكرر لم يجر فيه الصوت فيه، وهو الراء»[102].

3- القلقلة: هي اضطراب الحرف عند النطق به ساكنا[103]، وحروف القلقلة عند علماء التجويد خمسة تجمع في (طبق جد)، واشترطوا في حصول القلقلة اجتماع الشدة والجهر فيه.[104]

4- الهت: وهي صفة لحرف الهاء عند ابن جني حيث يقول:»ومن الحروف المهتوت وهو الهاء، وذلك لما فيها من الضعف والخفاء»[105]

97 – صالح صبحي: دراسات في فقه اللغة، ص 283، وما بعدها.
98 – زبير دراقي: محاضرات في فقه اللغة، ص 69، والرديني محمد علي الكريم: فصول في علم اللغة العام، ص 160.
99 – سيبويه: (أبو بشر عمرو بن عثمان): الكتاب، ج4، ص 435.
100 – مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية في تجويد القرآن، ص 170.
101 – أنيس إبراهيم: الأصوات اللغوية، ص 67.
102 – سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان): الكتاب،ج4، ص 435.
103 – نجا إبراهيم: التجويد والأصوات، مطبعة السعادة، القاهرة، 1972، ص 76.
104 – ابن الحاجب (عثمان بن عمر): الإيضاح في شرح المفصل، تحقيق موسى بناي العليلي، مطبعة العاني، بغداد، 1983، ج2، ص 448.
105 – ابن جني (أبو الفتح عثمان): سر صناعة الإعراب، ص 74.

5- التفشي: لغة هو الانتشار والانبثاث، واصطلاحا هو كثرة انتشار خروج الريح بين اللسان والحنك عند النطق بالشين.[106] وخص سيبويه حرف الشين بهذه الصفة.[107]

6- الصفير: هي صفة خاصة بحروف ثلاثة (س ص ز)، وأول من استخدمها سيبويه حيث قال:» وأما الصاد والسين والزاي فلا تدغمن في هذه الحروف التي أدغمت فيهن، لأنهن حروف الصفير، وهن أندى في السمع»[108]، والصفير هو: «حدة الصوت كالصوت الخارج عن ضغط ثقب[109]، وبمعنى آخر هو «صويت يصحب هذه الأحرف يشبه صفير الطائر»[110].

7- الغنة: هي الصوت الذي يخرج من الأنف أو الخياشيم كما كتب علماء العربية والتجويد، أو بالتجويف الأنفي في مفهوم علماء الأصوات المحدثين[111]، وحروفها الميم والنون والتنوين.[112]

8- الاستطالة: وهي صفة لحرف اللام، يقول ابن الجزري: «الحرف المستطيل هو الضاد المعجمة، سميت كذلك لأنها استطالت عن الفم عند النطق بها حتى اتصلت بمخرج اللام»[113]

9- اللين: استخدم سيبويه هذه الصفة لحروف المد الثلاثة وهي الألف والواو و الياء[114]، أما من جاء بعد سيبويه فحاول تحديد الطبيعة الصوتية لهذه الأصوات بدقة، ومن هؤلاء مكي بن أبي طالب القيسي في كتابه» الدعاية في تجويد القرآن» حيث قال «حروف المد واللين ثلاثة أحرف : الألف، الواو الساكنة، التي قبلها ضمة، والياء الساكنة التي قبلها كسرة، ....وحرفا اللين هما الواو الساكنة التي قبلها فتحة والياء الساكنة التي قبلها فتحة»[115]

10- الحرف الهاوي: وصف سيبويه الألف بأنه الهاوي فقال: «ومنها الهاوي وهو حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو، لأنك تضم شفتيك في الواو، وترفع في الياء لسانك قبل الحنك

106 – مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية في تجويد القرآن، ص 109.
107 – سيبويه (عثمان بن عمر): الكتاب،ج4، ص 448.
108 – المصدر نفسه، ج4، ص 464.
109 – ابن الطحان: (عبد العزيز بن علي السماتي): مخارج الحروف وصفاتها، تحقيق محمد يعقوب تركمستاني، ط1، بيروت 1404هـ،1984م، ص 94.
110 – المرادي (الحسن بن قاسم): شرح الواضحة في تجويد الفاتحة، تحقيق عبد الهادي الفضلي، دار القلم بيروت، د ت، ص 36.
111 – الحمد غانم قدوري: المدخل إلى علم أصوات العربية، 124.
112 – صالح صبحي: دراسات في فقه اللغة، ص 283.
113 – ابن الجزري: (أبو الخير محمد بن محمد): التمهيد في علم التجويد، ص 25.
114 – سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان)، الكتاب، ج4، ص 176.
115 – مكي بن أبي طالب القيسي: الدعاية في تجويد القرآن، ص 101.

وهي الألف»[116].

هذه بعض الصفات الأحادية لحروف اللغة العربية، وهي غير محدودة، إذ هناك صفات أخرى ذكرها العلماء القدامى مثل: الجرس(الألف الساكنة)، الخفية (هـ ا و ي) والجوف (ء ا و ي) والمستعينة (ع)، والراجع (م)، والمصوتة (أ و هـ) .....وغيرها[117].

ز-الظواهر الصوتية في اللغة العربية: تفرد اللغة العربية بمجموعتين من الظواهر والتغيرات والتبديلات والأحكام الصوتية التي حاول علماء اللغة العربية والقراءة والتجويد التطرق إليها بالبحث والدرس والتحليل حتى توصلوا إلى كثير من المصطلحات والمفاهيم النظرية التي يتم نقلها إلى حيز الإجراء والتطبيق على الدرس اللغوي العربي، ومن هذه الظواهر:

1- الإظهار: لغة هو البيان واصطلاحا هو إخراج كل حرف من غير غنة أو إشمام حرف بآخر أو إقلاب أو قلقلة أو تشديد، وتظهر النون الساكنة في حالتين»الأولى عند الوقوف عليها، والثانية عند التقائها بأحد حروف الحلق التي تسمى حروف الإظهار النوني وهي (ء،هـ،ع،ح،غ،خ)[118]، ومن أمثلة هذه الظاهرة في القرآن الكريم قوله تعالى: «وينئون»[119] «وأنهار»[120] «أنعمت»[121] «وانحر»[122] «فسينغضون»[123] «والمنخنقة»[124]

2- الإخفاء: لغة الستر وفي اصطلاح القراء نطق الحرف بصفة هي بين الإظهار والإدغام عارية من التشديد مع بقاء الغنة في الحرف الأول، وبمعنى آخر هو حالة بين الإدغام والإظهار تبقى معها صفة الغنة[125]، ويتحقق الإخفاء مع خمسة عشر حرفا هي: (ص ذ ث ك ج ش ق د ط ز ف ت ض ظ)[126] مثل «ومن

116 – سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان)، الكتاب، ج4، ص 435.
117 – محمد علاء جبر، المدارس الصوتية عند العرب، النشأة والتطور، ص 119وما بعدها.
118 – المرجع نفسه، ص 125.
119 – سورة الأنعام من الآية 26.
120 – سورة محمد من الآية 15.
121 – سورة الفاتحة من الآية 07.
122 – سورة الكوثر من الآية 02.
123 – سورة الإسراء من الآية 51.
124 – سورة المائدة من الآية 03.
125 – هلال عبد الغفار حامد، الصوتيات اللغوية، ص 552.
126 – هلال عبد الغفار حامد، الصوتيات اللغوية، ص 552.

تاب»[127]، «ومن ثقلت»[128]، «ومن دابة»[129].

3- الإدغام: هو في اللغة إدخال الشيء في الشيء واصطلاحا هو عبارة عن إدماج الحرف الأول في الثاني والحرف الأول يسمى مدغما والثاني مدغما فيه، وضد الإدغام هو الإظهار[130]، مثل «من وال»[131] و«من ربهم»[132]

4- الإقلاب (القلب): لغة هو التحويل أي تحويل الشيء عن وجهته واصطلاحا جعل حرف مكان حرف[133]، وبتعبير آخر هو تحويل الحرف إلى غيره دون إدغامه، ويتحقق بقلب النون أو التنوين ميما خالصة وإخفائها بغنة دون إدغام إذا وقع بعدهما الباء فقط نحو «أَنْبِئْهُم»[134] «أَن بورك»[135] «سميع بصير»[136] [137].

5- المد والقصر: المد إطالة الصوت بحرف المد، والقصر إبقاء حرف المد على ما فيه من المد الطبيعي، فالمد زيادة والقصر ترك الزيادة، فالأول يطلق عليه المد الفرعي والثاني يطلق عليه المد الطبيعي.

فالطبيعي هو الذي لا تقوم ذات حرف إلا به وهو بمقدار حركتين مثل: «إن الله مع الصابرين»[138].

والفرعي هو المد الزائد على طبيعة الحرف، ويمد بمقدار ثلاث حركات إلى ست على حسب اختلاف القراء، مثل «جاء»[139]، «يشاء»[140]، «وقالوا آمنا»[141] [142].

127 – سورة الفرقان من الآية 71.
128 – سورة القارعة من الآية 06.
129 – سورة الأنعام من الآية 38.
130 – التهانوي محمد علي، موسوعة كشاف اصطلاح الفنون، ج1، ص 128، وما بعدها.
131 – سورة الرعد من الآية 11.
132 – سورة البقرة من الآية 05.
133 – محمد علاء جبر، المدارس الصوتية عند العرب، النشأة والتطور، ص 130.
134 – سورة البقرة من الآية 33.
135 – سورة النمل من الآية 08.
136 – سورة الحج من الآية 75.
137 – هلال عبد الغفار حامد، الصوتيات اللغوية، ص551.
138 – سورة البقرة من الآية 153.
139 – سورة النساء من الآية 43.
140 – سورة البقرة من الآية 90.
141 – سورة البقرة من الآية 14.
142 – للاستزادة أكثر، يراجع هلال عبد الغفار حامد، الصوتيات اللغوية، ص555.

6- الوقف: هو «السكوت على آخر الكلمة اختيارا لجعلها آخر الكلام»[143]، وهذا التعريف يتوافق مع ما أقره علماء العربية ومنهم أبو علي الفارسي أن الحروف التي يوقف عليها لا تكون إلا ساكنة، كما أن الحروف المبتدأ بها لا تكون إلا متحركة».[144]

وذكر علماء التجويد أنماطا كثيرة للوقف على آخر الكلمة منها:[145]+

- الوقف بالسكون مثل : «وإلى ربك فارغبْ»[146]
- الوقف بالواو مثل: «إليه أدعو»[147]
- الوقف بالياء مثل: «وادخلي جنتي»[148]
- الوقف بالهاء أو التاء الساكنتين مثل: «الحاقة ما الحاقة»[149]، «ويجعلون للّه البنات سبحانه»[150]
- الوقف بهاء السكت مثل « و إني ظننت أني ملاق حسابيه «[151]

7- الروم والإشمام: الروم هو النطق بالحركة بصوت خفي أو النطق ببعض الحركة، ويكون في الضمة والكسرة[152]، في حين يعرف الإشمام بأنه حالة من حالات الوقف على الصوت في الكلمة المرفوعة وهي أن تقف على الصوت دون إتباعه حركة الضم، وإنما تضم شفتيك فقط أو هو الإشارة إلى حركة الرفع من غير تصويت[153].

وخلاصة القول: إن علماء العربية اهتموا بدراسة الأصوات العربية دراسة جليلة إذ تطرقوا إلى تشريح

143 – الاستراباذي رضى الدين، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد محي الدين عيد الحميد وآخرون، مطبعة حجازي، القاهرة، 1358هـ، ج2، ص 271.

144 – الفارسي أبو علي: التكملة، تحقيق كاظم بحر المرجان، مطابع مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، العراق، 1981، ص 187.

145 – عن الوقف و أنماطه ينظر: محمد علاء جبر: المدارس الصوتية عند العرب، ص 134.

146 – سورة الشرح من الآية 08.

147 – سورة الرعد من الآية 36.

148 – سورة الفجر من الآية 30.

149 – سورة الحاقة من الآية 01.

150 – سورة النحل من الآية 57.

151 – سورة الحاقة من الآية 20.

152 – ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، ج2، ص 121.

153 – الصيغ عبد العزيز: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر دمشق، ط1، 2000م، ص 247.

ووصف آلة النطق وحددوا مخارج الحروف وصفاتها وكشفوا عن ما يعتريها من تغيرات وتبديلات وظواهر، كل هذا شارك فيه كل العلماء من قراء ومجودين ونحويين وصرفيين ولغويين وفلاسفة إلى أن أصبح الدرس الصوتي علما قائما بذاته له أصوله ومناهجه ومبادئه من القرن الرابع الهجري إلى زماننا هذا.